بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ من الأمور المهمَّة التي ينبغي أن يلحظها المسلمُ في الدعاء، بل قد عدَّه بعضُ أهل العلم في جملة آداب الدعاء: العنايةَ بالدعاء للمسلمين بالتوفيق والمغفرة والرحمة والإعانة على الخير؛ إذ إنَّ الجميعَ مشتركون في الحاجة إلى ذلك، وما من ريب أنَّ كلَّ مسلم يحبُّ من إخوانه المسلمين أن يدعوا له، ويُسَرُّ بذلك، ويتمنى زيادته، والمسلمُ يُحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه من الخير، فكما أنَّه يحبُّ ذلك لنفسه فينبغي أن يكون معتنياً بذلك تجاه إخوانه المسلمين بحب الخير لهم، والدعاء لهم، والاستغفار ونحو ذلك، ومَن كان هذا شأنُه مع إخوانه المسلمين قيَّض الله له من إخوانه من يدعون له ويستغفرون له، والمسلم ينتفع بدعوة أخيه المسلم حيًّا وميِّتاً.

وإذا نظر المسلمُ إلى أحوال إخوانه المسلمين وجدها أحوالاً متفاوتة، وكلُّ واحد منهم بحاجة إلى دعاءِ إخوانه، فذاك مريضٌ يعاني من المرض ويُكابد آلامَه، ولربما يكون قد أمضى في مرضه الأسابيعَ العديدة أو الشهورَ الطويلة، وقد لا يغمض له جفن، ولا يهدأ له بالٌ في آلام متعبة وأوجاع مؤلمة، فهو بحاجة إلى دعاء إخوانه المسلمين له بأن يشفي اللهُ مرضَه، ويزيل بأسه، ويفرج همَّه، ويكشف كربَه، ويُلبسَه ثوبَ الصحة والعافية.

روى أبو داود والترمذي، وقال: «حسن»، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**مَن عاد مريضاً لَم يحضر أجلُه فقال عنده سبعَ مرَّات: أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يشفيك إلاَّ عافاه الله**»[1].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى المريض يدعو له قال: **اللَّهمَّ ربَّ الناس أذهب الباس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلاَّ شفاؤك، شفاءً لا يغادر سَقَماً**»[2].

ومن المسلمين مَن اخترمته المنيَّةُ وأدركه الموتُ، فهو في قبره محتَجزٌ، وبأعماله مرتَهن، وبما قدَّمت يداه مجزيٌّ، فهو بحاجة إلى دعاء إخوانه المسلمين بأن يُقيلَ الله عثرتَه، ويغفرَ زلَّتَه، ويتجاوزَ عن خطيئته، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «هذا شاملٌ لجميع المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضُهم لبعض وأن يحبَّ بعضُهم بعضاً، ولهذا ذكر الله في هذا الدعاء نفيَ

(1): سنن أبي داود (رقم:٣١٠٦)، وسنن الترمذي (رقم:٢٠٨٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (رقم:٦٣٨٨).

(2): صحيح البخاري (رقم:٥٦٧٥)، وصحيح مسلم (٢١٩١).

الغلِّ عن القلب، الشامل لقليله وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضدُّه وهو المحبَّةُ بين المؤمنين والموالاةُ والنصحُ ونحوُ ذلك ممَّا هو من حقوق المؤمنين ...»[3].

ومن المسلمين مَن يعيشون في بلدانهم في فتن مؤرقة، وحروب مهلكة، وبلاء شديد، قد تسلَّط عليهم عدوُّهم، فأُريقت فيهم الدماء، ورُمِّلت النساء، ويُتِّمَ الأطفالُ، ونُهبت الأموالُ، وهم بحاجة إلى الدعاء لهم بأن يُنفِّسَ اللهُ كربَهم، ويفرج هَمَّهم، ويكبتَ عدوَّهم، وينشرَ الأمنَ والاطمئنانَ بينهم، وقد كان من هدي النبيِّ الكريم ﷺ القنوتُ في النوازل التي تنزل بالمسلمين، فيدعو للمسلمين بالنصر والنجاة، ولعدوِّهم بالهزيمة والهلاك، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ قنتَ في صلاة العَتَمَة شهراً يقول في قنوته: **اللَّهمَّ أنجِ الوليدَ بن الوليد، اللَّهمَّ أنجِ سلمةَ بنَ هشام، اللَّهمَّ أنجِ عيَّاشَ بن أبي ربيعة، اللَّهمَّ أنجِ المستضعفين من المؤمنين، اللَّهمَّ اشدد وطأتَك على مُضر، اللَّهمَّ اجعلها عليهم سنينَ كسني يوسف**، قال أبو هريرة: وأصبح ذات يوم فلم يدعُ لهم، فذكرتُ ذلك له، فقال: **أوَما تراهم قد قَدِموا؟**»[4].

وثبت في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قنتَ النبيُّ ﷺ شهراً يدعو على رِعْلٍ وذكوان ويقول: **عُصيَّة عَصت الله ورسولَه**»[5].

وكذلك قنوتُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه في محاربة الصحابة لمسيلمة الكذاب، وعند محاربة أهل الكتاب، وكذلك قنوتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه يقول: «اللَّهمَّ عَذِّب كفرةَ أهل الكتاب الذين يصدُّون عن سبيلك، ويجحدون آياتك، ويكذبون رسلَك، ويتعدَّون حدودَك ... »، إلى آخر دعائه رضي الله عنه[6].

ومن المسلمين مَن أرقهم الفقرُ، وأقعدتهم الحاجةُ، فمنهم مَن قد لا يجد لباساً يواريه، أو مسكناً يؤويه، أو طعاما يُشبعه ويغذيه، أو شراباً يرويه، بل منهم مَن أدركه حتفُه في مجاعات مهلكة، وقَحْط مفجع، فهم بحاجة إلى دعوات صادقة بأن يغني الله فقيرَهم، ويُشبعَ جائعَهم، ويكسو عاريَهم، ويَسُدَّ حاجتَهم، ويكشفَ فاقتَهم، إلى غير ذلك من أنواع الاهتمام بأمور المسلمين وحبِّ الخيرِ لهم، والدعاء لهم، وذلك كلُّه منطلقٌ من الرابطة الإيمانية التي تجمعهم وتؤلف بينهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [التوبة: ٧١]، وفي الحديث يقول ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمِهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له**

(3): تيسير الكريم الرحمن (١٠٣/٨).

(4): صحيح البخاري (رقم:٨٠٤)، وصحيح مسلم (٦٧٥)، واللفظ له.

(5): صحيح البخاري (رقم:٤٠٩٤)، وصحيح مسلم (٦٧٧)

(6): انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٢/٢٢ - ٣٧٣)، وزاد المعاد لابن القيم (٢٨٥/١).
وأثر عمر أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٥٥/٢ - ١٥٦) وغيره. مع اختلاف في اللفظ عما أورد هنا. وقد صحَّحه الألبانيُّ في تعليقه على صحيح ابن خزيمة، وصحَّحه قبله الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١٥٠/٢).

سائر الجسد بالسهر والحُمى»، رواه البخاري ومسلم[7].

وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينُه اشتكى كلُّه، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كلُّه**»[8].

وثبت عن النبيِّ ﷺ من حديث أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُدُّ بعضُه بعضاً**»[9].

وروى الطبراني عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**لن تؤمنوا حتى تراحموا، قالوا: يا رسول الله كلُّنا رحيم، قال: إنَّه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنَّها رحمةُ الناس رحمةُ العامة**»[10].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فينبغي على المسلم أن يكون مراعياً لحقوق إخوانه المسلمين، مُحبًّا الخيرَ لهم، رحيماً بهم، عَطوفاً عليهم، داعياً لهم بالتوفيق والسداد، والخير والفلاح، والصلاح والاستقامة.

الاستغفار للمسلمين

تقدَّم بيانُ أهميَّةِ دعاء المسلم لغيره من إخوانه المسلمين بالمغفرة والتوفيقِ والهداية والسدادِ ونحوِ ذلك، وتقدَّم الإشارةُ إلى أنَّ حاجةَ الجميع إلى ذلك مشتَرَكَةٌ، فكما أنَّ المسلمَ بحاجة إلى دعوات إخوانه المسلمين، فكذلك إخوانه المسلمون بحاجة إلى ذلك، قال العلاَّمةُ ابنُ القيِّم رحمه الله: «والجميعُ مشتركون في الحاجة بل في الضرورة إلى مغفرةِ الله وعفوه ورحمته، فكما يُحبُّ [أي المسلم] أن يَستغفرَ له أخوه المسلمُ، كذلك هو أيضاً ينبغي أن يستغفرَ لأخيه المسلم، فيصير هِجِّيراه: **ربِّ اغفر لي ولوالديَّ وللمسلمين والمسلمات وللمؤمنين والمؤمنات**، وقد كان بعضُ السلف يستحبُّ لكلِّ أحدٍ أن يُداوم على هذا الدعاء كلَّ يوم سبعين مرَّة، فيجعل له منه وِرداً لا يُخلُّ به.

وسمعتُ شيخَنا - أي ابن تيمية - يذكرُه، وذكر فيه فضلاً عظيماً لا أحفظه، وربَّما كان من جملة أوراده التي لا يُخلُّ بها، وسمعتُه يقول: إنَّ جعلَه بين السجدتين جائزٌ، فإذا شهدَ العبدُ أنَّ إخوانه مصابون بمثل ما أُصيب به، محتاجون إلى ما هو محتاجٌ إليه لَم يمتنع من مساعدتهم إلاَّ لفرطِ جهله بمغفرة الله وفضلِه، وحقيقٌ بهذا أن لا يُساعَد، فإنَّ الجزاءَ من جنس العمل»[11].

ومن الأجور الواردة في هذا الدعاء العظيم ما ثبت في المعجم الكبير للطبراني

(7): صحيح البخاري (رقم:٦٠١١)، وصحيح مسلم (رقم:٢٥٨٦).

(8): صحيح مسلم (٢٥٨٦).

(9): صحيح البخاري (رقم:٦٠٢٦)، وصحيح مسلم (رقم:٢٥٨٥).

(10): رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٨٦/٨)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح»، ورواه الحاكم في المستدرك (١٨٥/٤)، وقال: «صحيح الإسناد»، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٣٨/١٠): «رجاله ثقات»، وللحديث شاهد من حديث أنس رواه أبو يعلى في مسنده (٢٥١/٧).

(11): مفتاح دار السعادة (٢٩٨/٢).

بإسناد حسن عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب الله له بكلِّ مؤمنٍ ومؤمنَة حسنة»[12].

فتأمَّل ـ رحِمكَ الله ـ عِظمَ هذا الأجر المترتِّب على هذا الدعاء وكثرته، فالمسلمُ عندما يقول في دعائه: اللَّهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، يكون له بكلِّ واحد من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات المتقدِّمين منهم والمتأخرين حسنة، فهي حسنات لا تُحصى، فأعداد المسلمين المتقدِّمين والمتأخرين لا يُحصيهم إلاَّ الله جلَّ وعلا، ولهذا كان هذا الدعاءُ العظيم في جملة أدعية النبيِّين، وأَمَرَ الله به خاتَمهم محمداً ﷺ، وذكره في جملة ما امتدح به عباده المؤمنين، قال الله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[نوح: ٢٨]، وقال تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾[إبراهيم]،

وقال تعالى آمراً نبيَّه محمداً ﷺ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[محمد: ١٩]، وقال تعالى عن عباده المؤمنين الذين جاؤوا من بعد الصحابة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[الحشر: ١٠].

وكلُّ ذلك دالٌّ على عِظم شأن هذا الدعاء، وجلالة قدره، وكثرة ثوابه عند الله، ولهذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يعظم شأنَ هذا الدعاء، وكان من جملة أورادِه التي لا يُخلُّ بها، كما سبق نقلُ ذلك عن الإمام ابن القيم رحمه الله.

وقد روى عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج قال: قلتُ لعطاء: أَستَغفرُ للمؤمنين والمؤمنات؟ قال: نعم، قد أُمر النبيُّ ﷺ بذلك، فإنَّ ذلك الواجبَ على الناس، قال الله لنبيِّه ﷺ: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾، قلتُ: أفتدع ذلك في المكتوبة أبداً؟ قال: لا. قلت: فبِمَن تبدأ، بنفسك أم بالمؤمنين؟ قال: بل بنفسي، كما قال الله ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾».

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن المبارك رحمه الله: «أنَّه كان إذا ختم القرآنَ أكثَرَ دعاءَه للمؤمنين والمؤمنات»[13].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالأمرُ الذي كان معروفاً بين المسلمين في القرون المفضَّلة أنَّهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة فرضها ونفلها من الصلاة والصيام والقراءة والذِّكر وغير ذلك، وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات كما أمر الله بذلك لأحيائهم وأمواتهم في صلاة الجنازة

(12) مجمع الزوائد (١٠/٢١٠)، وصحيح الجامع (رقم:٥٩٠٦)، وانظر تعليق الشوكاني على هذا الحديث في تحفة الذاكرين (ص:٣٢٠).
(13) حلية الأولياء (١٠/١١٣).

وعند زيارة القبور وغير ذلك، وروي عن طائفة من السلف: عند كلِّ ختمة دعوةٌ مستجابة، فإذا دعا الرجلُ عُقيب الختم لنفسه ولوالديه ولمشائخه وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات كان هذا من جنس المشروع، وكذلك دعاؤه لهم في قيام الليل وغير ذلك من مواطن الإجابة»[14].

ثمَّ إنَّ دعوةَ المسلم لأخيه أو إخوانه المسلمين بظهر الغيب مستجابةٌ، بل إنَّ الله جلَّ وعلا وكَّل ملَكاً عند رأس الداعي كلَّما دعا لأخيه بخير قال الملَك: «آمين ولك بمثله».

روى مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب إلاَّ قال الملَكُ: ولك بمثل**»[15]، وفي رواية أخرى في صحيح مسلم عن أبي الدرداء: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**دعوةُ المرءِ المسلم لأخيه بظهرِ الغيب مستجابةٌ، عند رأسِه مَلَكٌ موكَّلٌ كلَّما دعا لأخيه بخير قال المَلَكُ المُوَكَّلُ به: آمين ولك بمثله**»[16].

قال النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: «وفي هذا فضلُ الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعةٍ من المسلمين حصلت هذه الفضيلةُ، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضاً، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنَّها تُستجابُ ويحصُلُ له مثلُها»[17].

إنَّ جميعَ ما تقدَّم فيه أبلغُ دلالة على أهميَّة الدعاء للمسلمين بالمغفرة والرحمة ونحو ذلك، فحريٌّ بكلِّ مسلمٍ أن يُكثرَ من الدعاء لإخوانه لينال تلك الأجورَ الكريمةَ والفضائل العظيمة، ومِن لطيف ما يُستأنسُ به في هذا المقام ما رواه أبو نعيم في حلية الأولياء عن أحمد بن الضحاك الخشاب قال: «رأيتُ فيما يرى النائمُ شُريحَ بنَ يونس، فقلتُ: ما فعل بكَ ربُّكَ يا أبا الحارث؟ قال: غفر لي، ومع ذلك جعل قصري إلى جنب قصر محمد بن بشير بن عطاء الكندي، فقلتُ: يا أبا الحارث أنتَ عندنا أكبرُ من محمد بن بشير، فقال: لا تقُل ذاك، فإنَّ الله تعالى جعل لمحمد بن بشير حظًّا في عمل كلِّ مؤمن ومؤمنة؛ لأنَّه كان إذا دعا قال: اللَّهمَّ اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات»[18].

فنسأل الله الكريم أن يغفرَ لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

(14): مجموع الفتاوى (٢٤/٣٢٢).
(15): صحيح مسلم (رقم:٢٧٣٢).
(16): صحيح مسلم (رقم:٢٧٣٢).
(17): شرح صحيح مسلم (١٧/٤٩).
(18): حلية الأولياء (١٠/١١٣).

الدعاء للمسلمين

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار المحجة

شارك في الدعوة إلى الله بنشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية